

دمية القصر

أيامه عُرفت° فيها رئاسته° ... كجدول التبر يسقي روضَ ديباج .
ثناؤه ومواضيه ونِعَمته° ... حَلِي° لأيدٍ وأعناقٍ وأوداج .
فالبيتُ بيتُ عُلّا° والكفُّ كَف ندى° ... والنطقُ نطقُ بليغِ الفضلِ مَحْجَاج .
وَقُتاهُ وقتُ ندى° تَنْدَى غَمَامَتُهُ° ... ووقتُ بأسٍ يُغشِّيهِ بإرهاج .
يستنفدُ الوصفَ في أدنى مناقبه ... ويملاً الثَّنيَ من صُحفٍ وأدراج .
مآثرُ كاثرت° حَمْرَ الذِّقَا ومحت° ... آيَ الدُّجى وارتقت° أعرافَ أبراج .
وغُرَّة° مثل أنفِ الرعنِ شامخة° ... في بحرِ جودٍ صَخوبِ اللُّجِّ عَجَّاج .
من معشرٍ كأنابيبِ القنّاة سَمَت° ... بكفِّ قارعِ حِصنِ السابقِ الناجي .
ومنها :

أَلستَ نَجَلَفْتِي سَحَابِ أُرديّةٍ ... دَخَالِ نَقْعِ مِصاعٍ منه خَرَّاج .
لا يوصَفُ العبدُ في أحشاءِ بَدْوَتِهِ ... ولا تحمّلُ أظعانٍ وأحداج .
ومنها :

هذا الكلامُ الذي تَذَكُو غَزالتُهُ° ... يغشى سَنَا البدرِ في طَرْفِ الدُّجى الساجي .
فخُذُه° كالفجرِ وضّاحاً مَقْلَدُهُ° ... تَرِبَ التربةِ من بيضاءَ مِغْنَج .
قال يرثي الشيخ الإمام أبا محمد عبد الله بن يوسف الجويني رحمة الله عليه :
علومُ عِلّاتٍ° أعلامها غَيبَرَاتُها° ... وأعينُ أعيانٍ طَغَت° عَيبَرَاتُها .
وأفلادُ أكبادٍ من الفضلِ فُتِّشَت° ... فُؤدِلٌ على تفتيتها زَفَرَاتُها .
نبا بليوثِ الغابِ عُقْرَ غُيولها° ... وأُخْلِي من عُفرِ الفِلا سَمَرَاتُها .
أبى الله عزَّ الله إلا° تَنْقُصُ ما° ... من الأرضِ حتى استقلعت° شَجَرَاتُها .
تَدَاعَت° مَباني الدينِ وانهدَّ رُكْنُهُ° ... ودُهُدِهِ من أطوادرِهِ صَخَرَاتُها .
وغارَ ضياءِ الشمسِ فانكسفت° له° ... شَموسُ وأقمارُ خَبَت° شَرَرَاتُها .
أرى عُمباً° تيجانُها قد تَقَوَّضت° ... وقد عصبتُها بالثرى غَيبَرَاتُها .
وأوجهَ أقوامٍ كرامٍ على العُلا° ... وقد رَهَقَتُها فجعة° فَتَرَاتُها .
إذا شَقَّقَت° أجفانها عَيبَرَاتُها° ... تَشَقَّقُ عن أبدانها حَيبَرَاتُها .
علا الحَيدرِ عبد الله صهوة سابقٍ ... قوائمه° من معشرِ قَصَرَاتُها .
وإنَّ قلوباً قُطِّعت° لوفاتِهِ ... كَوَاتُها على تَقطيعها حَسَرَاتُها .
ذَوْت° دَوْحة° الإسلامِ والعلمِ والعُلا° ... بمَصْرَعِ مَنْ جَذَّت° به نَمَرَاتُها .

هوى نجمها العالى وأظلمَ جَوُّها ... ومادت رواسيها ومارتَ كراتُها .
ألا من لحافلٍ نَدَّ منه لُقد خلتُ ... نَوادٍ وعادتُ غَيبَةً >صَرَاتُها .
سلامٌ على المَنطيقِ في شُبُهاتها ... إذا ما رجالٌ عاقَها >صَرَاتُها .
برغم النَّوادي والمَجالسِ رُنُّ نَقتُ ... موارِدُها وارْتدَّ مِلحاً فُراتُها .
برغم الفَتاوى والمدارسِ هُوَّرتُ ... خواطرُهُ واستُنزفتُ خَطراتُها .
برغم العلا والدين والعلم والحجى ... ثوى البدرُ والبيضاءُ ضلَّتْ سَرَاتُها .
فيا وَيبَ أحداقِ طُمسُنَ بأدمعٍ ... غِزارٍ تَدَمَّتْ حُرقةً فَطَراتُها .
ويا وَيحَ أقدامِ عَثَرَنَ لِفَقده ... فلمَّا استقالتُ ثُبَّتْ عَثَراتُها .
فجائعُ سالتُ بالخدودِ دماؤُها ... كذا وتَهاتتُ في الحَشا جَمراتُها .
لَخَفَّتْ مَثاقيلُ الرجالِ وأضَلَّتْ ... حُلوماً وطاشَتْ بعده وَقَراتُها .
وكان إذا ما حرَّرتْ كلماته ... معانيَ لم تَرَقُمُ سطوراً قُراتها .
وما ذاكَ فَهَمُّ المُستفيدِ وإنَّما ... سَنا نورَ تفهيمِ المفيدِ مِراتُها .
ومنها :